# سرب الطائرات الأمريكية والطوارئ على حدود ليبيا

محمود عبد المنعم مراد

**التعليق**

في صباح الاثنين الماضي، زارتني شخصية ليبية كبيرة تعيش في القاهرة، وسألني الزائر الكريم، عن مطار غرب القاهرة، وهل يقع بالقرب من حدود ليبيا؟ وفوجئت بالسؤال، ورددت بلا جواب. ذلك أني لا أعرف أين يكون المطار، وإذا كنت أعرف، فليس لي أن أجيب. لأن تلك مسألة عسكرية. ولكن الذي استوقفني من سؤاله هذا، هو الربط بين مطار غرب القاهرة، وبين الحدود الليبية. وشعرت خلال الحديث بأنه يتمنى، كما يتمنى الكثيرون ممن أعرفهم من الليبين الكبار والصغار أن تكون مصر قد أعدت العدة لإسقاط نظام القذافي. وقلت إني أرى أن هذا الموضوع هو من اختصاص الشعب الليبي وحده.

وفي مساء اليوم نفسه، عقد السيد منصور حسن وزير الدولة للثقافة والإعلام مؤتمراً صحفياً قال فيه أن الحكومة تقدمت إلى مجلس الشعب بمشروع قرار لفرض قانون الطوارئ على الحدود العربية مع ليبيا. وقال إن مصر ألغت قانون الطوارئ، ولكنها إزاء التهديدات الليبية السافرة رأت أن تأخذ حيطتها لمنع وصول المسللين والمخربين عبر الحدود الليبية المصرية، وخاصة بعد أن أعلن العقيد القذافي في خطاب له أذيع على الهواء أن ليبيا سوف توجه أسلحتها إلى القوات المصرية المرابطة في المنطقة الغربية.

ومع ذلك فلم أجد رابطاً يربط بين إعادة حالة الطوارئ إلى حدودنا مع ليبيا، واستدعاء أسراب الطائرات الأمريكية للتمركز في مطار غرب القاهرة. فالموضوعان منفصلان، ولا علاقة لأحدهما بالآخر، وإن كان الموضوعان قد أثيرا في يوم واحد.

والموضوع الأول واضح لا يحتاج إلى شرح أو بيان. فتهديدات القذافي أصبحت من الأنباء المتواترة التي تبعث على السأم. وتدخلاته في شئون الدول المجاورة يعرفها كل قارئ لصحيفة، أو مستمع لراديو، في تشاد والسودان وأفريقيا الوسطى وتونس، ومغامراته مع مصر التي لقنته درساً لعله لم يستطع نسيانه بعد. أما جرائمه مع مواطنيه، فليست مخافية على أحد. فهو يمارس الإرهاب الرسمي العلني معلناً ذلك بنفسه، مفاخراً به. وسقطت ضحاياه في لندن وروما وغيرها من العواصم الأوربية، مما اضطر بريطانيا إلى طرد سفيره لديها، لأنه يحمي القتلة الليبيين المؤتمرين بأوامر العقيد. وليس في التاريخ كله سابقة لمثل هذا الجنون السياسي الإجرامي. صحيح أن دولاً عربية أخرى تمارس القتل أو التصفية الجسدية كما يسمونها الآن، ضد معارضيها، ولكنها لا تعترف علانية بقيامها بهذه الجرائم البشعة على الملأ، ولا تفخر بارتكابها، بل تتحمل منها وتدعي أنها غير مسئولة عنها. إما أن يعلن رئيس دولة أنه سيقتل كل معارضيه في الخارج، ويتفنن هذا الوعيد ويفخر به، فذلك أقرب ما يكون إلى الهوس والجنون.

وفي الحديث الذي نشرته الأهرام في الأسبوع الماضي للواء أبو غزالة رئيس الأركان عن الأسلحة المكدسة الآن في ليبيا، وعن التهديد العلني الصريح الذي أذاعه معمر القذافي بنفسه على الهواء، مؤكداً أنه سيوجه هذه الأسلحة إلى قواتنا المصرية، ما يبرر إعادة حالة الطوارئ إلى منطقة الحدود مع ليبيا، بل يبرر ما هو أكثر من ذلك بكثير. فلسنا نريد أن نعيش تحت تهديد رجل مجنون مفتوح العيار، يضرب ذات اليمين

منصور حسن

وذات اليسار، ويضحك عليه الروس، ويأخذون عائداته النفطية ليعطوه بثمنها أسلحة متطورة متكدسة لا يقوى على استخدامها كل القوى البشرية التي تعيش في بلاده، فيستخدم لها المرتزقة القادمين من أنحاء الأرض، ليقفزوا حظ موسكو، وليطوقوا مصر، وليهددوا دول القارة الأفريقية وينشروا الذعر في كل مكان.

وباستطاعتنا وحدنا أن نوقف ذلك كله، وأن نعيد الرشد إلى هذا العقل المخبول. ولسنا في حاجة إلى مدد عسكري أمريكي يساندنا في أية عملية تأديب وتهذيب، لو أردنا القيام بها في أية ساعة من أي نهار. ولكنا يجب أن نعد العدة لكل احتمال. ويوم تستهويه المغامرة المجنونة، أو يتلقى الأمر من سادته المحركين المزدوج الموضوع فيه، فسوف يعرف أن آلاف الطائرات والدبابات التي اشتراها بآلاف الملايين من الجنيهات، لن تحميه من الدرس القاسي الذي ينتظره، إن كان قد نسي اللطمة الصغيرة التي تلقاها على حدوده في المرة السابقة.

أما عن أسراب الطائرات الأمريكية، فقد شرح الفريق كمال حسن علي الهدف من استدعائها وتمركزها في مطار غرب القاهرة، بقصد تدريب الطيارين المصريين على استخدام أحدث طائرات القتال. وليست المسألة إذن خطة عسكرية مصرية أمريكية مشتركة لضرب القذافي وإسقاط نظامه. وما أظن أن سقوط نظامه يحتاج إلى خطة عسكرية مشتركة، لأن أبسل وحده للسقوط. والصرح الماثل مهما يكن مدعماً بالسلاح فهو مائل، ولا يصح إلا الصحيح.

## البيان الأوربي

صدر البيان الأوربي عن مشكلة الشرق الأوسط، وكأنه لم يصدر. فقد تجاهلته الصحف ووسائل الإعلام الأخرى، لا في مصر وحدها، بل في سائر أنحاء الدنيا. ولست أستطيع أن أحكم لها أو عليها لتجاهل هذا البيان وردود الفعل الناتج عنه.

لقد اجتمع رؤساء وزارات دول أوربية تسع في مدينة البندقية يومين. وقيل قبلها إن الدول الأوربية سوف تتقدم بمبادرة بديلة عن اتفاقيات كامب دافيد، وهددت أمريكا، ورفضت إسرائيل، ووافقت مصر بشرط أن تكون المبادرة، لا بديلا عن الاتفاقيين، ولكن مكملة لها ومؤيدة لمحتواها وسائرة في طريقها. ثم قيل إن الدول الأوربية سوف تتقدم باقتراح لمجلس الأمن لتعديل القرار رقم ٢٤٢، بحيث يعترف للفلسطينيين بحق تقرير المصير، ويعتبر مشكلتهم مشكلة سياسية، لا مشكلة لاجئين، وأيدت أمريكا باستخدام حق الاعتراض، ووقفت الدول العربية في حيص بيص، وبادرت إسرائيل بالهجوم والطعن والتحدي، وما لبث الفلسطينيون أن قالوا إن هدفهم هو تصفية إسرائيل عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً. وهكذا وجدت الدول الأوربية نفسها عاجزة عن القيام بأي دور، وكأن اجتماعها وبيانها الصادر بعد مداولات يومين لم يسفر إلا عن العبارة العامية المصرية الشائعة «طظ فش!».

فالبيان الأوربي لم يهاجم أمريكا ومبادرتها. وفي الوقت ذاته لم يؤيد اتفاقيي كامب دافيد صراحة، ولم يهاجمهما صراحة أيضاً. والبيان لم يهاجم إسرائيل، لأنه دعا إلى العيش معها في سلام، داخل حدود آمنة معترف بها. ولم يؤيد إسرائيل أيضاً لأنه دعاها إلى احترام حقوق الفلسطينيين، والتفاوض معهم، وبخاصة مع منظمة التحرير الفلسطينية، التي لا تعترف بوجود إسرائيل. والبيان لم يتحيز للفلسطينيين، لأنه دعا العرب إلى العيش مع إسرائيل في

أنور حسن

سلام ، ولم يتحيز ضدهم لأنه دعا إلى منحهم حق تقرير المصير .

وهكذا كان البيان فريداً في باب الدبلوماسية الحديثة ، لأنه لم يهاجم أحداً ولم يناصر أحداً . وفي الوقت نفسه ، هاجم الجميع ، وناصر الجميع . وركب المجتمعون الجدول واستمتعوا بالرحلات البحرية في قنوات البندقية ، وتصافحوا وتحادثوا في مسائلهم الخاصة ، وأضافوا إلى البيان فقرة عن لبنان المتربع المسكين ، وضرورة الحفاظ على أمنه وسلامته ووحدة أراضيه . وكل هذا هو ما نسميه «لغط قش» ويبقى على العرب أن «يدفعوا القرش» .

وحتماً سيدفعونه . وإن كان يخيل إليهم أنهم يقبضونه ، على شكل عائدات البترول . ولكل ما تقدم ، أوافق في حيرة ، هل أغضب على صحفنا ووسائل إعلامنا لتجاهلها لهذا البيان ، أم أحمد لها الغلو فيما فعلت . والأمر بعدئذ متروك للقارئ . يقرر بنفسه ما يراه .

## رحلة الملكين

ومن قبيل هذا التجاهل لما يدور بين العرب وأوربا هذه الأيام ، هاتان الرحلتان الميمونتان اللتان قام بهما ملكان عربيان ، لدولتين كبيرتين . إحداهما الزيارة التي قام بها جلالة الملك خالد السعودي لمدينة بون عاصمة ألمانيا الغربية ، وهي زيارة تعد الأولى من نوعها حيث لم يسبق أن قام ملك سعودي بمثل هذه الزيارة . والثانية هي الزيارة التي قام بها ، جلالة الملك الحسين الأردني لواشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد خصام وانقطاع دام عامين ، عقب توقيع الفاقيتي كامب دافيد ، ورفض الملك الأردني المشاركة فيما تمخض به الاتفاقيات من مفاوضات .

ولا شك أن الملك خالد قد تحدث مع المستشار الألماني عن مشكلة الشرق الأوسط ، وعن ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة . وما من شك أن المستشار الألماني سيوافق جلالته على ذلك . ولكن ماذا بعد ؟ الأهم من ذلك كله والأجدى ، هو الحديث عن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين ، فالسعودية هي أكبر مصدر للنفط إلى ألمانيا الاتحادية ، ولألمانيا مصالح ومشروعات وتوريدات واسعة النطاق في السعودية .

أما جلالة الملك حسين ، فقد أعلن الرئيس كارتر ومساعدوه والمتحدثون باسمه ، أنه سوف يتعرض لضغط أمريكي وحملة إقناع مكثفة ليشترك في محادثات الحكم الذاتي للفلسطينيين . وقد بدأ الحوار بين الملك الأردني والرئيس الأمريكي الآن . وأنا أكتب هذه السطور .

الملك خالد

ولا أعلم ماذا يكون من أمر الضغط الأمريكي على العاهل الأردني ، فلم تعد أمريكا هذه الأيام هي أمريكا ، حتى إن بعض المعلقين قالوا ، إن الذي سيحدث هو العكس ، وهو أن يقوم الملك حسين بمحاولة إقناع الرئيس كارتر بالقيام بمبادرة جديدة بعد أن توقف سير المحادثات المتفرعة عن اتفاقيتي كامب دافيد . وما أظن الرئيس الأمريكي سوف يستجيب لضغط الملك الأردني ، لأن الولايات المتحدة تستطيع أن تستغني عن المعونة المالية التي يمكن أن تتقاضاها من المملكة الأردنية الهاشمية !

ومع ذلك فزيارة الملكين الكبيرين للدولتين الكبيرتين ، زيارة هامة ومفيدة . ولم يكن بيان دول السوق الأوربية الصادر من البندقية هو نهاية المطاف . ففي خلال هذه الأيام تعقد اجتماعات لدول العالم الصناعية الكبرى السبع ، وهي أمريكا وكندا واليابان ، ومعهما بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا . وستدرج ضمن جدول الأعمال مشكلة الشرق الأوسط ، مثلما تدرج في كل اجتماع ، للأمم المتحدة ، أو لمجلس الأمن ، أو للسوق الأوربية أو لأي كائن من كان . ولكن كارتر سيحضر هذا الاجتماع ، الذي سيعقد في نفس القاعة بالبندقية ، ومعه رؤساء دول الغرب الصناعية . وسيكون لديه ولدى المستشار الألماني بعد اجتماعهما بالملكين العربيين ، فكرة محددة واضحة عن المواقف العربية ، ولا أقول عن الموقف العربي . فلعل المناية ترفرف بجناحيها على هذا الاجتماع ، ويسفر عن بيان جديد ، يهدئ من نفوس البعض ، ويثير نفوس الآخرين ، ولا يحل مشكلة !

## السرقات والحرائق

في كل صيف ، عندما يحين موعد الجرد ، تشب الحرائق ، لتخفي ما وراءها من جرائم السرقة أو الاختلاس . وتضيع المستندات وتحترق الوثائق ، ويفوز بالغنيمة من دير الحريق ، وجلس في بيته مثل نيرون يشرب ويطرب بينما روما تحترق .

والغريب أن هذا يحدث في كل عام ، ولا يتعظ أحد . ونحن في نهاية القرن العشرين ، حيث استطاع العلم الحديث أن يبتكر وسائل مستحدثة للأمن ، وحفظ المستندات ، والإنذار بالحريق قبل اندلاعه ، بل معرفة فاعليه ومدبريه ومرتكبيه ، وفي أي وقت بدأ ، وكيف بدأ . يعود للثاب أو عقب سيجارة أو زجاجة بنزين أو ماس كهربائي . ولكننا رغم هذا كله ، نخسر الملايين كل صيف ، ولا نعرف أسباب الحريق ، وقيد الحادث ضد مجهول ، وعفا الله عما سلف . وهكذا في غمضة عين ، احترقت دار الأوبرا المصرية ، واحترقت محلات جانبيو ، واحترقت منذ أسبوع محلات شركة بيع المصنوعات المصرية ، ومن يدري ما الذي ستحمله الأنباء غداً أو بعد غد عن أنباء حرائق المحلات والمصانع والمخازن ، لا قدر الله . وتجتمع اللجان وتنفض ويبقى الفاعلون بعيدين عن يد العدالة .

ونحن لا نملك إلا التوجه إلى السادة اللصوص والمختلسين بالرجاء الحار ، أن يفكروا في طريقة لإخفاء جرائمهم ، غير طريقة إشعال النيران في الوثائق والمستندات ، لأن هذه النار تمتد بطبيعة الحال إلى السلع المعروضة للبيع ، وإلى الأثاث ، وقد تمتد إلى مبان أخرى يملكها أناس عاديون . فعلى ما بين أيديهم وما وراءهم من مال أو ثروة ، نحن لا نملك سوى الرجاء أن يكون في قلوب هؤلاء اللصوص رحمة . نحن نعرف أن الدنيا غلاء ، وأن المرتبات لا تسعفهم لسد احتياجاتهم وتطلعاتهم التي لا تنتهي ، ولا تسد مطالب زوجاتهم من فاخر الثياب ، وتوافر المجوهرات ، والسيارات الأنيقة ، وحفلات الزواج والطلاق ، وأعياد الميلاد السعيدة . كيف يمكن أن تفي هذه المرتبات بكل هذه النفقات الباهظة ؟ وأين يقول الموظف وجهه أمام أقاربه وأصحابه ، وهو الذي يجري للملايين أمامه ، ولا يأخذ منها إلا الكيشة صغيرة كل شهر كرواتب ، وكيشة أخرى كحافز ، ولا شيء بعد ذلك ؟ ومن أين يأتي بالرضا بالواقع ، وبغطى الضمير اليقظ ، ويراعي الله . إن مال الحكومة هو ماله ، ولن تفلس الحكومة إذا انقض على عشرات الألوف ، ثم أشعل النار وانصرف .

والسرقة شائعة ، وآثارها محصورة فيما سرق . أما النار والعياذ بالله ، فهي شديدة الوطأة ، تمتد ضحاياها إلى أبعد مما نتوقع . والمصيبة أن موسم هذه الحرائق لا يجيء إلا في عز الحر ، حيث تشتد النار وتمتد وتتسع ، فإذا لم يكن الرجاء مقبولاً منهم بالكف عن إشعال الحرائق ، فليجعلوا موعدها في الشتاء ، حيث تتساقط الأمطار فتخف آثار الحريق وتقل الخسائر .

اللهم قد بلغت . اللهم فاشهد !

## الشهر المبارك

بعد أقل من عشرين يوماً ، يحتفل بحلول شهر رمضان المبارك . كل سنة وأنتم طيبون . إنه شهر الصيام ، ومع ذلك فقد دبرت أجهزة الدولة من الأموال الطائلة ، بالعملات الأجنبية الحرة ، كل ما يلزم الشهر العظيم من لوازم ، لحوم وطيور وأسماك وسمن وزيت وفلح ودقيق فاخر ، بالإضافة إلى ما يسمونه بالياميش وإن كانت لا أعرف أصل هذه الكلمة ، وقد بحثت عنها في القاموس ولم أجدها .

والأصح إذن أن يسمى الشهر المبارك بشهر الطعام ، حيث تتوافر فيه كل أصنافه ، وحيث يبلغ الاستهلاك الآدمي أقصاه ، وتتحمل الدولة ، كما تتحمل الأسر والأفراد أقصى ما يتحملونه ، استجابة لنداء المعدة !

وليس هذا من الدين في شيء . ولا من الصحة ، ولا من الاقتصاد . صحيح أن الجائع يحلم بالطعام ، وينتظر انطلاقة المدفع بفارغ الصبر ، ليعوض ما فاته طوال النهار وينهال على ألوان الطعام نهماً حتى تتمثل بطنه ، ويستريح قليلاً ، لا يعرف كيف يمشي ولا كيف ينام ، حتى تأتيه العزيزة ليلى بقوارير المشية ، فتسيه التخمة التي يشعر بها وتساعده على قضاء الوقت الضائع في هضم ما امتلأت به المعدة من نشويات ودهنيات وبروتينات وأشياء كثيرة لا نستطيع أن أصفها .

ويتحدث رجال الدين كل يوم عن فضائل الشهر المبارك ، وعن كلمة الصيام ، وعن ضرورة الشعور بالجوع ، لتلين النفوس بالرحمة والموعظة الحسنة . ولكن «الأذن تسمع ، ولا تعي ، وتحتي الحكمة وراء نداء المعدة ، ويأكل الصائم أضعاف ما يأكله المفطر . ولا أظن ذلك هو الصيام الذي فرضه الدين ، ولا أظنه يتمشى مع قواعد الصحة التي ينصح بها الأطباء ، ولا قواعد الاقتصاد وخاصة في مثل هذا الغلاء الشديد .

وسوف تظل الصحف تستعين كل يوم بخبيرات التدبير المنزلي ، يقدمن كل صباح قائمة بأطباق اليوم الشهية . وربما استعان بعض التليفزيون ، ليعرض على ربات البيوت بالصوت والصورة ، طريقة صنع أصناف الحلوى ، والفطائر المحشوة باللحم المفروم ، أو بالجوز واللوز والسكر .